لأنهم لو كان همهما به وقد أخبر الله بأنه وليهما **فإن قلت** معنى ذلك فرط الاستبشار وليهما
بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة
غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها أو لفشل الجبن
والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أمرهم بأن لا يتوكلوا
إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه ثم ذكرهم بما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح
يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والأذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع
القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح
والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب منهم النفر على البعير
عدة أهل بدر الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وكان
عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة
والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون
بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر
موضع الإنعام لأنه سبب له إذ تقول ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر
أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقوله لهم يوم أحد **فإن قلت** كيف يصح أن يقول
لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة **قلت** قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى
فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل
الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم
ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف
من الملائكة وإنما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة
عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى إيجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الإمداد بهم
فأوجب الكفاية ثم قال إن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسومين للقتال

ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى
غزوة أخرى وجاء فلان ويرجع من فوره ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله الأمر على الفور
لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به
الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته
لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر
نزولهم عن إتيانهم يريد أن الله يعجل نصركم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين
بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها
بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على
أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد
مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة
الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت وما جعله الله الهاء لأن يمدكم أي وما
جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم كما كانت
السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر إلا من عند الله لا من
عند الملائكة والكثرة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصر والطمع في الرحمة
ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر
ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل
عدة قتلى يوم بدر والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش
وصناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين
بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده
إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول أبي الطيب لأكبت حاسدا وأرى عدوا

Copyright © King Saud University